

# العرب في السيف

جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

الخميس 12 تشرين الثاني 2015 - الموافق 30 محرم 1437 هـ - العدد 13219

## العراق: التجاذبات تُودي بالإصلاحات

ما عادت «العملية السياسية» التي أقامها الأميركيون بعد احتلالهم للعراق عام 2003 موحدة، فمساراتها أفرزت في نهاية المطاف ثلاثة مراكز قوى تبلورت لملاحمة الأساسية بوضوح على وقع الانتفاضة الأخيرة. المراكز المذكورة هي: مرجعية النجف، ومعها المتظاهرون والى حد ما رئيس الوزراء، حيدر العبادي وقسم كبير من الحشد الشعبي. ثم التيار الدعوي إيرانياً، وأخيراً الأميركيون ومعهم تيار مسعود البارزاني كرياناً. والتجاذبات بين هذه المراكز خلال الانتفاضة، والأدوار المتباينة التي لعبتها فيها زادت في بلورة وتظهير ملامح تلك المراكز التي سبق أن بدأت تتشكل بعد 10 حزيران/ يونيو 2014، إثر سقوط الموصل على يد «داعش»، لكننا لم نصعب شبه نهائية، ولها حدود واضحة تفصل في ما بينها، إلا على وقع الحدث الأخير، هذا، فيما عيّنت عملية استكمال التشكل هذه، من جهتها، سقف الانتفاضة وقررت مآلاتها.

ما أنضجُه السيف

التظاهرات اندلعت في عز صيف هذه السنة الالهب من البصرة، أكثر مدن العراق ارتفاعا في درجات الحرارة، وأكثرها تعرضا لانقطاع التيار الكهربائي. وهي تفجرت بداية حاملة مطلباً وحيداً هو الكهرباء، قبل أن تمتد، بعد قمعها ومقتل شاب وإصابة بضعة أشخاص، لبقية مدن الجنوب وأولها الناصرية والعمارة والكوت والمنتى، ثم بقية مدن العراق الوسطى ومنها النجف وكربلاء، ومع توسعها، اتسعت مطالبها وشعاراتها قبل أن تستقر على مطلب غالب تركّز عند نقطة «الإصلاح»، بمعنى القضاء على الفساد المستشري، ومحاسبة الفاسدين، وإيقاف النهب، ومعالجة اندعام الخدمات الخ.. القوى الأكثر حضورا في التظاهرات، وخاصة في بغداد، في «ساحة التحرير»، هي بالدرجة الأولى من جمهور وناشطي «منظمات المجتمع المدني» و «التيار المدني الديموقراطي» القريب من الحزب الشيوعي. وهؤلاء ليسوا ببعيدين عن «العملية السياسية الطائفية»، ولا يفكرون بالقطع معها، وهم بالأحرى الجناح الإصلاحى داخلها، ما جعل الفاصلة أو المنافسة بين مطلبى «التغيير» و «الإصلاح» محسومة لصلحة الأخير.

القوى التي تتظاهر أسبوعيا لم تكن أصلاً قادرة على إدامة التظاهرات من دون حماية من طرف قوى وله سطوة على «العملية السياسية»، ومؤثر فيها. وأفضل طرف كان المتظاهرون يحملون بوقوفه معهم هو المرجعية التي بادرت لحمايتهم باتخاذها موقفاً صارماً إلى جانب «الإصلاح»، ما أسقط بيد الحكومة والأحزاب والبيشميات المتنفذة من قوى الإسلام السياسي، وفرض «ترخيصاً واقعياً» للتظاهر تجلّى في حماية القوى الأمنية الضخم لها، والتعامل معها بإيجابية.. وهو ما أسهم أيضاً، ومن طرف الخفى، في زرع نصلها وإبقائها ضمن سقف المطالبة «المشروعة»، وموقف المرجعية هذا جاء امتدادا لحالة ناشئة تولدت بصورة خاصة بعد سقوط الموصل وانهبار جيش المالكي ووصول الخطر إلى مشارف بغداد. وقتها، أصدر المرجع علي السيستاني فتواه بالجهاد الكفائي، لتصبح النجف عمليا هي مركز القرار الراجح، لها جيشها المقاتل بدل جيش الكتلة المدنية الحزبية التي ثبت فشلها أمام مهمة إعادة بناء دولة على أنقاض تلك التي دمرها الأميركيون وسحقوها بعد 82 عاما من قيامها. وفي وقت كان خليفة المالكي قد جاء ليدير حكومة مزروعة السلطات عمليا وبلا جيش على الأرض، اندلعت الانتفاضة لتزيد في تكريس نفوذ المرجعية، وفي مزيد من إلحاق الحكومة بها بإحراجها عبر تدعيم صوت المنتفضين، مضيفة بذلك لوزنها قوة جديدة.

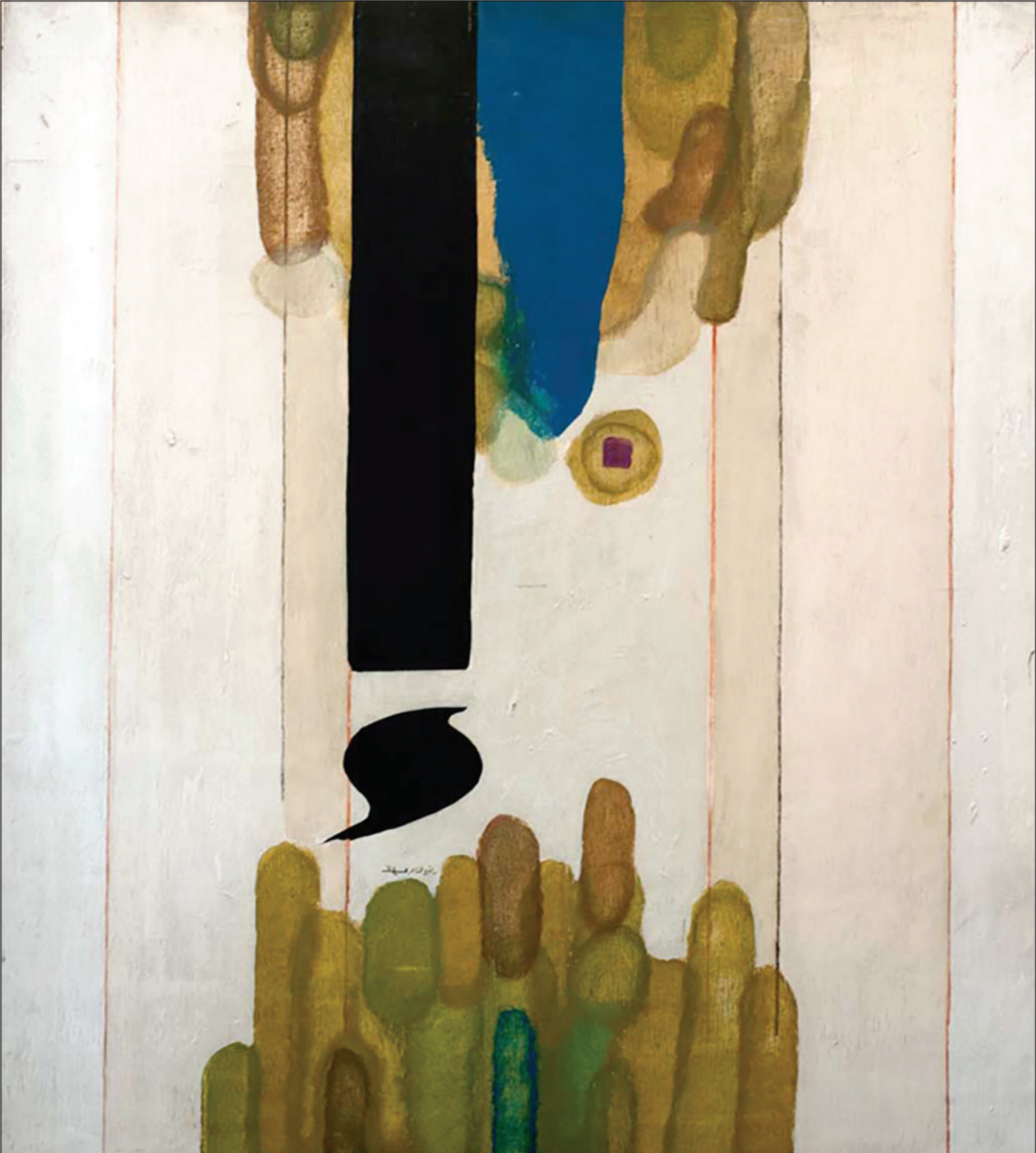
كان العبادي يواجه مشكلات كثيرة، قد يكون أخطرها كون التيار الرئيسي داخل حزب الدعوة يميل لخصمه المالكي الذي يقود سياسيا الجبهة القربية من إيران. وهذا المسكر هو الأقوى بين كتلة المدنيين والحزبيين الإسلاميين خارج المرجعية، وهو يضم «منظمة بدر» التي يتزعمها هادي العامري، مع «عصائب أهل الحق» بزعامة قيس الخزعلي، بالإضافة لتنظيمات أخرى مثل «حزب الله العراقي» وغيره، وما عدا المالكي، فإن الباقين يقودون تنظيمات عسكرية تقاتل على الجبهة ضد «داعش»، وهم يطلقون على انفسهم اسم «تنظيمات المقاومة»، ومع أن «عصائب أهل الحق» شاركت في أيام الجيمة الأولى في التظاهرات، إلا أنها عادت وانسحبت بعد ترتيب بيت الكتلة التي ينحازون لها، خصوصا حين بدأت تتعالي نغمة تأثير التظاهرات السلبلي على منغويات المقاتلين على الجبهة. وتعبيرا عن هذا الموقف، قام رعيم «منظمة بدر» هادي العامري، بزيارة المراجع الثلاثة الكبار في النجف، من دون المرجع الأعلى على السيستاني،

1 | 15 | 2 | 3 | 4

أن تكون صوفياً في محيط سلفي: استعراض تاريخي ملاحظة وراهنة للمسألة في السعودية. وعهد أردني جديد.. بين الحقيقة والخيال: عن التشريعات الجديدة وسؤال عن المسار الإصلاحى.

لماذا تعز هي مكان اليمن المميز، في السياسة كما في الثقافة؟ وفصل من الجسيم، أو واقع اللاجئين من اليمن إلى الصومال. وفي «الزاوية الحمراء»: الحرب على الشمامسة.

رداءات مختلفة للون واحد: انتهت المرحلة الأولى من الانتخابات النيابية في مصر. وفي «بألف كلمة» تماثيل عراقية غارقة. وفي الموقع الإلكتروني: من توفيق إلى طرطاق، التغييرات في الاستخبارات الجزائرية.



رافع الناصري – العراق

التنفيذ، ظلت كتفني بالتوجيه عبر خطب الجمعة الأسبوعية، يليقها ممتلها في كربلاء، حتى أثرت تساؤلات عن سر هذه الروية، خاصة مع ما يعرف من سياسة الكتمان الشديد المعرفة تكثيفي تعتمده المرجعيات عادة، فما هي الحجج التي قدمها رئيس الوزراء للمرجعية حتى ظلت مقتنعة معه بضرورة الترتيب.. بما عنى التبعيع.

المرجعية ليست وحدها، والتغييرات التي أعقبت سقوط الموصل ودخول «داعش» حفزت أطرافا أخرى ودفعت بما إعادة هيكلة أوضاعها، فإيران تتنافس مع المرجعية ضمن «الحشد الشعبي» بحلفاتها من الميليشيات، وهي تملك المال والسلاح من دون الحضور السياسي، وقد ساهمت تداعيات الانتفاضة الحالية والمطالبية بالإصلاح ومحاسبة السراق والفاسدين في سد هذه الثغرة، فالملك، الذي خسر بقرار من العبادي موقعه ككاتب لرئيس الجمهورية، هو وايد علاوي، ضمن سياق الإصلاح

إصلاحات ولكن..

رئيس الوزراء حيدر العبادي قدم كمنه أولى من الإصلاحات، حصلت على تفويض فوري من البرلمان عن كئلته الانتخابية، «دولة القانون». إلا أن تنفيذها تأخر كثيرا. والافت أن المرجعية برغم إحراجها على عدم تأخير

## كُل وانطلق، والنادل سينظّف خلفك

«طلبك فوق النار». النار في الفرن المكشوف تلهب اللحم المفروم.

هنا يشاهد الزبائن طبخ ما سيبأكلون ليعطمنوا. حين يفرم اللحم لا يعرف الزبون هل يأكل عضلات أو شحماً أم أمعاء. يسمح للحم المفروم ببيع العجل أو النعجة كاملة. تروج إشارات عن مطاعم تستخدم لحم الحميم. يزعم ابن سيرين في تفسير الأحلام «أن من لحم يذبح حمارة وأكل لحمها سيجد مآلاً وسيعيش في سعة»، يجلب النادل الأكل ويدفع بالصحنون الفارغة إلى زاوية ضيقة تقف فيها امرأة تغسل مئات الصحنون في متر مربع.

يتابع النادل مسيرته في السلسلة التايلورية في الطبخ لتوفير الطعم والسرعة والسخونة. الجميع يحبون المصبرغ ساخناً... ولا بد من السرعة للحفاظ على السخونة. ومع السرعة يشتد الضغط. لا بد من الانتقال بسرعة لأن الرابض خلف الآلة الحاسبة يعين الصقر يبحث عن أي تهاون أو تقصير أو تأخير.. لا بد من رفع الإيقاع لأن الناس كانوا يذهبون للمطاعم مرة في السنة وصاروا يأكلون خارج البيت كل أسبوع. يجب الشباب الوجبات غير التقليدية، وصارت النساء موظفات والمطاعم تملّيح بدلاً منهن. هكذا تُحرر المطاعم البشر من عبودية المطبخ وتحقق لهم أمنية «كُل وانطلق»، ولكي ينطلق الزبون بسرعة يجب أن يعمل النادل والطباخ كثيراً. الطعام مبهج بالنسبة للزبون لأن الأكل فيه جاهز، لكنه بالنسبة للنادل إنهاك بدني رهيب. يقطع النادل كيلومترات عدة يومياً داخل المطعم.

ومع ذلك لا يظهر مشاعر الغضب ويشبه وجهه ابتسامة كبيرة مرسومة على جدار... يحق للنادل إظهار الغضب تجاه زملائه ولا يحق له إظهار الغضب للزبائن. لديه وجهان. حين تصير الطاوات كلها مشغولة، يستريح النادل يضع ثوان، قد يطرد بعض المتسولين الجياع وقد يتأمل كل زبون يلتمس ما في صحنه. وهذا مخالف لعادة المغاربة الذين يأكلون جماعياً في قسعة ولا يأكلون اللحم والخضر دفعة واحدة. فلا بد من قسمة اللحم بعد إنهاء الكسكس والخضر، ويتولى الأكبر سناً القيام بقسمة عادلة. وغالباً ما تعطي الأم أفضل قطعة لابنها الأكبر، ويقبل الآخرون هذه العدالة...

حتى في المطاعم، تكنر هذه العدالة المائلة. يكفي أن يقارن الفرد بين ما في صحنه وما في صحن الآخريين ليشعر بالفخر أو الاضطهاد. بالبقاء نظرة على قائمة الطعام، يظهر بأن الوجبات الأعلى هي التي تشمل اللحم، وكلما زاد اللحم زاد الثمن. لا يتأثر ثمن اللحم بإشاعات هي بمرتبته تقارير طيبة تزعم أن اللحم يسبب السرطان. شكك الرجال في ذلك لأنه لا فحولة من دون لحم، وهذه نظرية بديعية صحيحة ومحرجة أكثر من كل نظريات نيوتن وأنشتاين.

فأشواء مصدر فحولة.

كل عام تزيد الأسعار لأن الأفواه تزياد وقطع اللحم تتناقص. لذلك

تنتشر وجبة البانيني التي تكثر فيها عجائن نينة تشبّع الزبائن بسرعة، لا يستوي من يأكل اللحم بمن يأكل البانيني. هذه المقارنة الذاتية عنف نفسي. صحيح، لقد تراجع العنف المادي في العلاقات الاجتماعية وحلت محله مقارنات ماركات اللابيس والهواتف... وقد بين عالم الاقتصاد الهندي امارتيا سين بأن وقوع الجماعات لة علاقة له بفقدان مادة الطعام، وإنما يعجز الفقراء عن الحصول عليه بسبب طبعاً من لم يشعخ لن يفكر. يبلغ وزن العقل اثنين في المئة من الجسم، ويستهلك عشرين في المئة من الطاقة. ينصح الحكماء بالتفكير على المدى البعيد، على مدى خمسين سنة، لكن الجوع يذكر الفرد باللحظة مرات عدة في اليوم. لذا تنتقل من سوسولوجيا القبيلة والمدينة إلى سوسولوجيا المطبخ.. لا يتوهم السوسولوجي البصاص بأن الكتابة عن الأكل أقل شرفاً من الكتابة عن الانتخابات، وهو يقفز ويطلب من الصحافيين تعديل سلم أولويتهم. فلم يمت أي شعب بسبب قلة الانتخابات، الأكل مهم، للوجبات دور كبير في تقوية ركب الأفراد. يُحكى عن انضمام جنود الرومان الصائمين أمام جنود هانيبال الذين تناولوا وجبة شهية.. كل الأنشطة الإنسانية ظرفية باستثناء الأكل والنوم. يمكن تأجيل الماطعة وتأجيل الانتخابات وتأجيل انتخاب رئيس.. لكن لا يمكن تأجيل وجبة. الأكل أهم من الديموقراطية. والحاكم الذي يوفر الأكل أفضل من القيادي الديموقراطي الذي يغرق شعبه في الخطابة.. وقد جاءت هيلال إيلغار، المقررة الأممية الخاصة بالحق في التغذية إلى المغرب وطالبت بتوزيع عادل للغروات.. تحلم. وفي حلم آخر، طالبت منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة (فاو) بتوفير 67 مليار دولار سنوياً لمساعدة أولئك معظم الدعم في إطار برامج الحماية الاجتماعية، وهي أداة حاسمة للحدود الراهمة لاجتثاث الجوع.

تحدث «الفاو» عن «الدعم في إطار الحماية الاجتماعية»، في تجاهل ساذج لحقيقة اقتصادية وهي أنه إذا حصل الفقراء على الأكل مجاناً، فلن يعملوا وسيخرب اقتصاد العالم، روح التعاون تنقل السوق، تقتل التنافس. يمكن لمنطق السوق أن يتكسح المنظمات الدولية، ولكن لا حظوظ بأن يخترق منطق الوجبات الخيرية قانون السوق...

تتأكد هذه الحقيقة حين يدفع الزبون ثمن الوجبة والخدمة. وقد يدفع «بقشيشاً»، لكافة النادل الخدمو جداً...

### محمد بنعزیز

كاتب وسينمائي من المغرب

... والأميركيون

الطرف الثالث المهم يمثله الأميركيون الذين تغيرت مواقفهم وتوجهاتهم هم أيضا بعد سقوط الموصل، وبالذات بعد ظهور «الحشد الشعبي» بمواجهة «داعش». وهم يحاولون تقليص دور الحشد في المعارك، مفضلين الجيش والقوات المسلحة النظامية. غير أن الأخيرة لا وجود لها فعليا، والحشد هو الذي استعاد محافظتي ديالى وصلاح الدين وعاصمتها تكريت، ويحاصر الرمادي منذ فترة. وقبل أشهر، بدأت القوات الأميركية تمود، مكثفة وجودها على الأرض، بالأخص في الجانبية على جبهة الرمادي وفي مناطق إقليم الشمال. مستعينة بقوات البشمركة الكردية. والأميركيون ما زالوا يرفضون دخول «الحشد الشعبي» إلى الفلوجة والرمادي، والمعلومات تقول إن تعدادهم ومعداتهم في تزايد، والبعض يعزو تحركاتهم الأخيرة إلى التغييرات في الوضع السوري بعد دخول روسيا الكثيف والمباشر، وفة تسريبات بأنهم ربما قرروا تغيير تكتيكاتهم في العراق بحيث أصبحوا أميل إلى توجيه ضربات فعلية لـ «داعش». وقبل أيام، صرح في الكونغرس رئيس الأركان الأميركي بأنّ معركة تحرير الفلوجة باتت وشيكة. وقد يعتبر مثل هذا التوجه خطوة استدرابية فعلية أخرى هدفها تقليص الدور الإيراني، بعدما كانت واشنطن قد اعترضت على اشتراك العراق في تنسيق أمني استخباري يضم روسيا وإيران والعراق وسوريا، ما جعل العبادي يتراجع عنه.

وهؤلاء لم يكونوا غائبين عن مجريات الانتفاضة، ويتردد أن سفارة الولايات المتحدة في بغداد سلّمت العبادي قائمة تفصيلية دقيقة بالأموال الهاربة المودعة في البنوك في الخارج وبأسماء مودعيها. لكن العبادي حين لمح لاحتمال فتح المنطقة الخضراء بوجه المواطنين، تلقى من السفير الأميركي اعتراضا شديد اللجة، مذكراً إياه بأن سفارة بلاده تقع فيها. وفي خطوة لافتة تعد انتعاكاً صارخاً للسيادة، قامت القوات الأميركية بالاشتراك مع البشمركة الأكراد مؤخرا بعملية إنزال على سجن في قضاء الحويجة غربي محافظة كركوك شمالا، فهم من تصريحات الأكراد أنها فشلت ولم تحقق أهدافها المتمثلة في تحرير أكراد من البشمركة كانوا قد اختطفوا على يد «داعش». وبالتوازي، شاعت معلومات عن قرب تعيين «عماد الخرسان» مديرا عاما لمجلس الوزراء. والخرسان مهندس أميركي من أصل عراقي، كان في هيئة مستشاري بول بريمر، الحاكم العسكري للعراق بعد الاحتلال. وحين يعود الآن، فإن أول ما يفهم من خطوة كهذه أن الأميركيين يريدون الإمساك بمركز القرار الرسمي بوجه إيران والمرجعية معاً. بل شاع أن الخرسان سيكون رئيس الوزراء القادم، وأن العبادي موشك على الرحيل!

بعد هاتين الخطوتين مباشرة، أصدر «ائتلاف دولة القانون» الذي يتزعمه المالكي، بيانا قرر فيه سحب تفويضه الذي كان قد منحه للعبادي في بداية الانتفاضة، ولم ينسَ الموقعون عليه أن يذكروا بأن الإصلاحات ينبغي ألا تتجاوز الدستور، كما أنهم لم ينسوا إحالة موقفهم هذا إلى المرجعية التي تقول هي أيضاً بضرورة الالتزام بالدستور، والوقوف على رمزيته وضعفه الإجراءي خثير، ويعتبر أول إشارة لبدء الهجوم الضاد. وهو يعني أن هذه القوى لم تعد خائفة كما كانت الحال مع بدء التظاهرات. ففي لقاء مع أحد المراجع الثلاثة صرّح المرجع لمجموعة من المتظاهرين قائلا إن الفاسدين «خافونكم جدا».

ومع حلول شهر محرم، تقرر إيقاف التظاهرات تحاشياً لاستنزاف، لكننا كانت قد انحسرت فعليا قبل ذلك بأسبوعين، ومعها انقضت في الغالب جولة على طريق طويل، من الصعب تبيين مساراته ونتائجها الآن.

### عبد الأمير الركابي

كاتب من العراق

### مسخرة

هو عنوان مكرر لافتتاحية صدرت هنا، ربما علينا أن نرُقّم المسخرات، والخشنة أن نصل إلى أرقام فلكية. والأمر الثاني المقلق هو أن توعي النصوص بالحاكاة: فظنين الحكام إلى إبداعات بعضهم البعض، وتعميم تطبيقها. وهذه

الملاحظة ناشئة عن تماثلات فعلية ملحوظة في سمات سلوكياتهم وتدابيرهم.. آخر المسخرات هي اعتقال حسام بهجت، الصحافي والحقوقي المصري، المؤسس لـ «البادرة المصرية للحقوق الشخصية» منذ زمن مبارك، والكتاب الاستقصائي في «مدى مصر»، الشجاع والقيدير والمعروف التحقيق في المخابرات العسكرية والحبس في النيابة العسكرية! والتهمه نشره معلومات

عن محاولة انقلاب ومحاکمة ضباط استقاها كلها من مصادر.. رسمية وعلمية ترهيب؟ الأرجح أن المستعنف من التخويف سواه، فبهجت أثبت مرارا أنه يعرف ما يُقدم عليه ولا تنفع معه هذه الأساليب. وقيله بأيام اعتقل الباحث هشام جعفر، وبعده أوقفت عن العمل عزة الحناوي، وهي مقدمة أخبار تلفزيونية، وحقق معها لأنها أشارت إلى خطورة غرق الإسكندرية.. وبالمناسبة فقد وصل القتلى للعشرات وغرقت أكثر من 50 قرية في محافظة البحيرة وانهار أكثر من 18 مبنى في الإسكندرية، وعادت هذه الأخيرة للفرق في الخوة الثانية، وطفت على السطح فضائح من نوع سد المصافي بسبب إنشاءات كبرى قررها المحافظ، أو ردم تجرّع ومصارف مائية قررها رجال أعمال لحسن سير مشاريعهم. وهناك مسخرة اعتقال وتدمير اعتقال إسراء الطويل، والتشكيك في إصابتها بالشلل رداً على التعاطف مع ظهورها باكية متوجهة في المحكمة، ومع ذلك رفض عرضها على طبيب، والحيرة بين تعاملها بمحاولة اغتيال ضابط بواسطة خيلة، أو مسؤول بواسطة قبيلة مخابة في كاميرا (هذه مستوحاة من اغتيال مسعود في أفغانستان) ونشر صور صحافية أخذها عنها الأجانب، ما يبسي لسبعة مصر الخ. وهناك أيضا محكمة مجلة «أخبار الأدب» على نشر فصل من رواية، وكأته وقائع.. وكان المحقق يريد معرفة الاسم الحقيقي للبلط لإصدار إسمائيا «أداب»!

في مصر، وفي سواها من عموم المنطقة، تختبط السلطات. تلتق روايات متلاحقة ومتناقضة، وتكذب، أو تصمت تماماً وتترك الناس «بيلطون البحر». المشكلة أنه لا يوجد قمع «فعال» بلا خطاب يحفز الناس على السير وراء السلطة. بينما الجوع والقتل في كل شيء عدا سيدنا الموقف هنا. لا يمكن أن نتجح ثلاثية القمع والنهب وإهانة الناس. جربت. وهي تنتج سلطات رثة والعنوان هنا أيضا مكرر.

#### نحلة الشهاال

# قضية

# أن تكون صوفياً في محيط سلفي

بين أزقة مكة المكرمة وسككها الضيقة، ومع امتزاج ثقافات ومذاهب وطرق الحجاج والمعتمرين من كل ارجاء المعمورة، تتداخل المساجد والتكايا والزوايا والمقامات، وترتفع الأذكار بالأدعية والموالد، وترى التنوع ظاهرا في كل شيء، حتى الملابس والأزياء البيضاء والخضراء، والعمامة التي تلف الرأس بمختلف أشكالها.

### خصائص الحجاز

منذ القرن الثاني الهجري، كانت منطقة الحجاز ساحة مفتوحة ومتفاعلة لمختلف الاتجاهات الفكرية والعقدية والمذهبية في العالم الإسلامي، نظرا لموقعها في الخلطة الدينية، حيث الحرمان الشريفان، وفي وجدان كل مسلم حيث القدسية الدينية، ومحاورة بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف، اللذين يعتبران أقدس بقعتين لدى جميع المسلمين.

جماعات عديدة قدمت من أنحاء العالم الإسلامي وهاجرت واستوطنت حول الحرمين الشريفين، وأحدث وجودها تفاعلاً اجتماعياً وثقافياً وفكرياً مع المحيط الذي يجمع بين المستقر فيها والمتجدد دوما. برز علماء كبار وانطلقت طرق ومذاهب ومسالك صوفية عديدة من هذه الديار، وشهدت نشاطا بارزا في نشر العلوم والمعارف، يذكر بعض المؤرخين، ومنهم الشيخ حسن العجمي (ت 1692م) في مخطوطته «خبايا الزوايا لأهل الكرامات والمزايا» أن في مكة المكرمة أكثر من أربعين طريقة صوفية وثلاثمئة تكية وزاوية تقوم بخدمة التابعين لها من كل مناطق العالم الإسلامي خلال موسم الحج بخاصة، وتحظى بالرعاية المالية المستدامة من الأوقاف المخصصة لها بمكة وخارجها، علاوة على ما يجلب إليها من أموال الصدقة والهيبة.

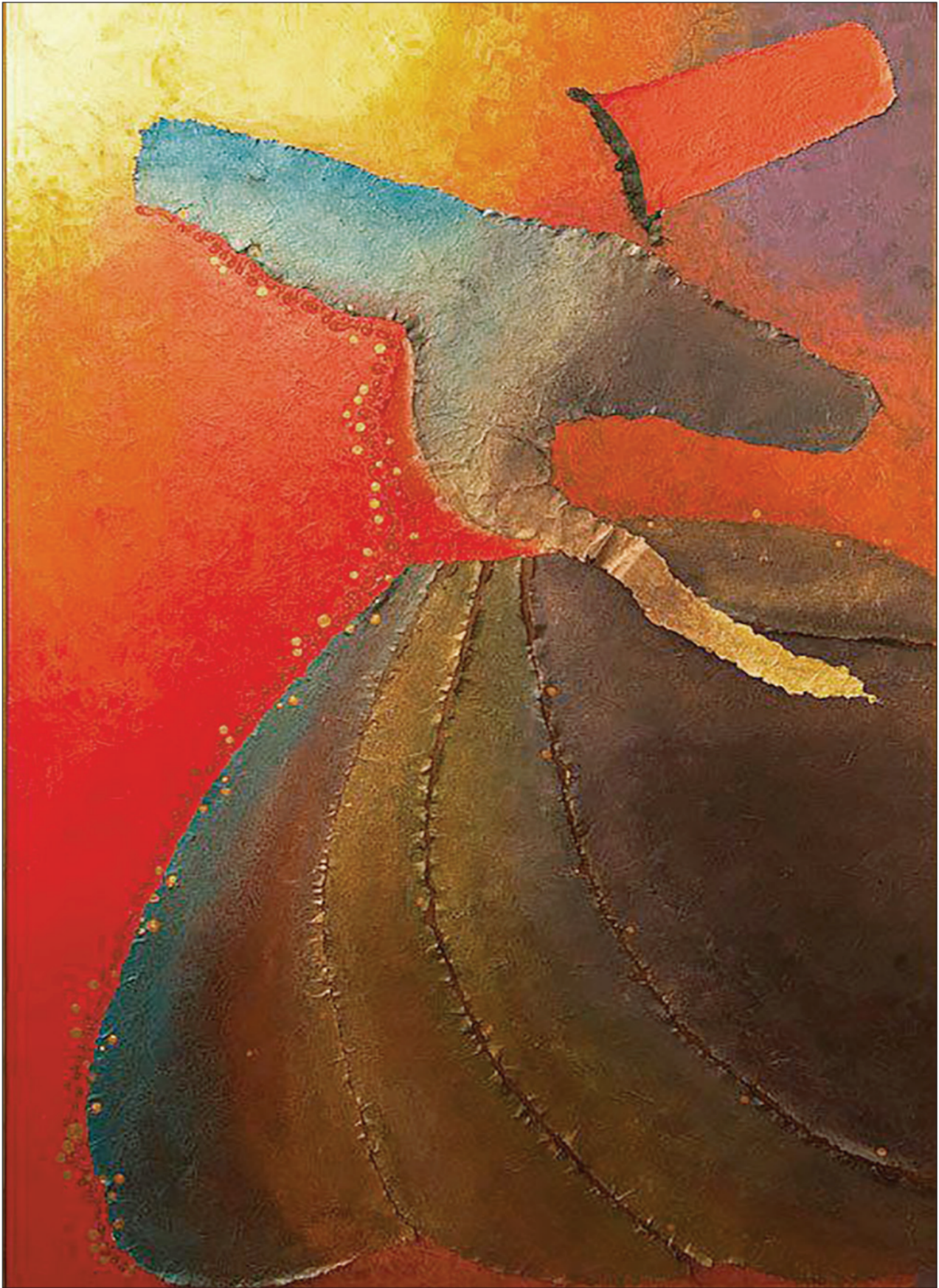
لم تقتصر زوايا الصوفية هذه في الحجاز على جلسات الذكر فقط، بل تحولت على مدى العصور إلى مدارس، ومحطات قوافل، ومراكز تجارية، ومراكز اجتماعية، وحصون، ومحاكم، ومصارف نقدية، ومستودعات، وماؤ للفقراء، ومواطن حمى، ومدافن. كما أنها لم يقتصر وجودها على المدينتين المقدستين (مكة والمدينة) فقط بل تعدتها لتشمل كل طرق مرور قوافل الحجاج والموائى البحرية كجدة وينبع، والمدن الساحلية والجبلية أيضا صولا إلى عسير.

### التعدد وقبول الاختلاف

ومن أبرز الطرق الصوفية التي كانت سائدة في الحجاز وتهامة والأحساء (شرق السعودية) طريقة السادة آل باعلوي التي أسس معالمها محمد بن علي باعلوي (1180-1255م) وانطلقت من جنوب اليمن، والطريقة البرهانية الدسوقية التي أسسها ابراهيم بن عبد العزيز الدسوقي (1255-1296م)، والطريقة الإدريسية التي أسسها الإمام المتصوف أحمد بن إدريس من أهل فأس (1758-1837م)، والطريقة السنوسية التي أسسها محمد بن علي السنوسي (1787-1855م) وبيتها لأتباعها زوايا عديدة في مختلف مناطق الحجاز، والطريقة التيجانية التي تزعمها في الحجاز العلامة هاشم بن أحمد سعيد الفتوي (1865-1931م)، بالإضافة إلى العديد من الطرق الصوفية الأخرى، ومنها الطريقة النونية الرفاعية الشافعية التي تأسست في مكة المكرمة.

ويظهر من تعدد الطرق الصوفية في الحجاز أنها لم ترتبط بمذهب فقهي محدد، وإنما عكست حالة من التنوع في الفهم والممارسة، على خلاف الطرق الصوفية التي سادت في بلاد أخرى كالشام وخراسان ودسوق والقدس والبصرة وبغداد وفأس. فقد حافظت الصوفية في الحجاز على حيادية معقولة من المذاهب الفقهية المختلفة، حيث برزت حالات عديدة لطلبية من مذهب فقهي معين يتبعون طريقة لتسبح من مذهب فقهي مختلف. ويعود ذلك لكون المجتمع الحجازي يمتلك بواعث التنوع والتعددية في داخله بسبب طبيعة العوامل المؤثرة فيه كالتجارة والانفتاح على الثقافات المتعددة، والتعاطي المستمر مع الحجاج والزوار على مختلف مذاهبهم وتوجهاتهم، «قدرنا أن نكون في الحجاز، لذا لم يكن لدينا التشدد لأننا نستقبل جميع الناس في موسم الحج بجميع مذاهبهم وطرقهم و معتقداتهم، وكلهم بالنسبة لنا سواء من دون تفرقة»، هكذا يقول الدكتور سمير بركة أحد أبرز المتحدثين عن الصوفية.

من الناحية العملية، بقيت الصوفية في الحجاز ملتزمة بمبادئ التحلي (البعد السلوكي والأخلاقي) باعتباره معالجة للقلوب وتأكيداً للتسامح المطلق انطلاقاً من مفهوم الإحسان الذي يعتبرونه من أركان الدين. ومن أجل المحافظة على حالة الاعتدال، لم يعمق صوفيو الحجاز في طرح أفكار التجلي (البعد الفلسفي للصوفية) والتأكيد عليها بصورة جريئة وواضحة، مما جعلهم متفحبن على مختلف التيارات والاتجاهات، أو «التصوف المعتدل» الذي يتقاطع ويتداخل



ليس عيد - السعودية

مع مختلف المذاهب الإسلامية، ولا يتناقض معها أو يصطدم بها، وهو ما يعبر عنه أبرز مراجعهم بالجمع بين «الشريعة والطريقة».، وتنعكس هذه الحالة الإيجابية بين أطراف المجتمع الحجازي حتى في ما يرتبط بالعلاقة بين الصوفية والاتجاهات الليبرالية وغير الدينية، خلاف ما نلاحظه في مناطق أخرى كنجد على سبيل المثال. يلتقي أتباع الصوفية السعوديين مع الشيعة الإمامية في محبة أهل البيت وجواز زيارة القبور والأضرحة والاحتفال بالولاء النبوي والمناسبات الدينية، ولكنهم يختلفون عنهم في ما عدا ذلك كما

هو الحال بالنسبة لبقية المدارس المذهبية السنية. ولعل هذه الأمور المشتركة بين الصوفية والشيعة هي ما جعلتهم يشتركون أيضا في عداة السلفية لهم، وهي التي تعتبر كل هذه الأعمال من البدع الشركية التي تخرُج من يقوم بها من دائرة الإسلام.

### سيطرة السلفية

مرت العلاقة بين السلفية والصوفية بفترات عديدة من الصدام والتوتر، أبرزها مع قيام الدولة السعودية الحديثة في الربع

# السفير العربي

**144** إعداما في السعودية منذ بداية هذا العام بينما كان عدد الإعدامات التي نفذت العام الماضي 87. وتنفذ السلطات السعودية الإعدامات في الشوارع على الملأ.

الأول من القرن الماضي، حيث تم خلالها — كما ينقل الباحث زيد الفضيل — هدم مختلف القباب والأضرحة، ومُنح التوجه لزيارتها، ومنع إحياء المناسبات المتعلقة بالبنى بصورة شعبية، (كذكرى مولده الشريف، والإسراء والعراج). وتم وقف كل أشكال مجالس الذكر الجماعي، وإغلاق ما كان موجوداً من تكايا وزوايا صوفية، إلى غير ذلك من الأعمال التي قُصدَ منها التضييق وإنهاء أي مسار للتصوف بمنطقة الحجاز.

وينقل الباحث الصباغ أنه وفي حدود عام 1928، أمر رئيس هيئة مراقبة القضاء الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ بحصر الزوايا التي بمكة، ثم دعا مشايخها ورتب لكل زاوية رجلاً من أهل السلف، وقد حاول بعضهم مقاومة ذلك الإحلال، بذريعة تملكهم المباشر للزوايا التي تلاصق دورهم فعلاً، وأنها ليست أوقافاً عامة.. ولكن ذلك لم يجد نفعاً.

### الإقصاء

المرحلة الثانية التي تلت ذلك كانت في إعادة تنظيم المؤسسة الدينية في ستينيات القرن الماضي وما تلاها من سياسات خلقت أرضية لنشوء تيار مذهبي أحادي مارس الإقصاء ضد جميع اتباع المذاهب الأخرى، سواء الفقهية أو الفكرية والسياسية. وهو ما نتج عنه حينها القيام بإصدار العديد من الفتاوى التكميلية ومحاسبة الزعماء الدينيين للصوفية واستتابتهم، ومنعهم من ممارسة شعائرهم وأنشطتهم الدينية، واستبعادهم من العمل في المؤسسات الدينية التي تم إنشاؤها حينها.

ولعل من الأمثلة البارزة في هذا المجال ما تعرض له العلامة السيد محمد علوي المالكي (1945-2004) والذي يعد من أبرز أعلام الصوفية في الحجاز، ومن أئمة المذهب المالكي، ولقب بمحدث الحرمين وله مؤلفات كثيرة في علوم الحديث والفقه، إذ أصدر ما يقارب المئة مؤلف في أصول الدين والشريعة والفقه والسيرة النبوية، ومعظمها طبع خارج السعودية، من بينها «قل هذه سبيلي»، «شفاء الفؤاد بزياره خير العباد»، «الذخائر المحمدية»، و «المسلمون بين الواقع والتجربة». يعتبر السيد المالكي رمزاً دينياً واجتماعياً في الحجاز، وهو عمل على توطيد العلاقة مع مسؤولي الدولة والتواصل مع رجالات المؤسسة الدينية وشخصياتها. إلا أن ذلك لم يشفع له، حيث أوصى مجلس هيئة كبار العلماء «أنه ينبغي جمع الأمور الشرعية والبدعية التي في كتابه الذخائر المحمدية مما قال فيها أنه خطأ فاته التنبيه عليه، وتطبيق على المحضر، ويكتب رجوعه عنها ويطلب منه التوقيع عليه، ثم ينشر في الصحف وبذاع بصوته في الأذاعة والتلفزيون، فإن استجاب لذلك، والإرفع لولاية الأمور لمنعه من جميع نشاطاته في المسجد الحرام، ومن الإذاعة والتلفزيون، وفي الصحافة، كما يمنع من السفر الي الخارج، حتى لا ينشر باطله في العالم الإسلامي، ويكون سبياً في فتنة فئة من المسلمين».، ونقل أنه منع من حق الرد بكتاب أو مطوية يدافع فيها عن عقيدته وعن منهج المذهب المالكي، ورفض طلبه بإجراء مظاهرة تلافزيونية أمام جميع أعضاء هيئة كبار العلماء، وصودرت جميع كتبه ومجمعاته وبحوته، وحرّم من مقعد بالحرم يقوم من خلاله بتدريس الطلبة ومخاطبة الزوار، شكّل مثل هذا التوجه الحاد في السياسات العامة تحدياً حقيقياً أمام اتباع الصوفية في السعودية، حيث انحسرت العديد من الأنشطة وجلسات الذكر والإحياء، كما غاب عن المشهد الإجتماعي الزي الحجازي المميز بألوانه التراثية الزاهية، وتم تغييب حضور الشخصيات الحجازية الدينية في مختلف وسائل الإعلام. وجرى تعزيز ثقافة الإقصاء والإتهام بالقبورية والشركيات والبدع لعقود طويلة.

لعل مرحلة جديدة دخلتها البلاد بعد أحداث «11 سبتمبر» قادت إلى العودة لمراجعة خطاب الإقصاء وآثاره المدمرة وإلى مبادرة أطلقها الملك عبد الله حينها عام 2004 لإجتماع الحوار الوطني والذي جمع لأول مرة أبرز الشخصيات السلفية مع شخصيات من مذاهب أخرى في السعودية، بينها رموز الشيعة والصوفية. وبدأت من حينها تظهر العمامة الصوفية والشيعية في وسائل الإعلام وفي مختلف اللقاءات العامة بعدما كانت مفضية تماماً ومنذ زمن طويل. انعكس ذلك أيضا على عودة اتباع المذاهب المختلفة إلى تراثهم، وعادت الحياة مجددا إلى الصوفية عبر تكثيف جلسات الذكر وإحياء الموالد والمناسبات الدينية.

### جعفر الشايب

كاتب وناشط حقوقي، راعي منتدى الثلاثاء الثقافي، وعضو المجلس البلدي بمحافظة القطيف

# عهد أردني جديد.. بين الحقيقة والخيال

الديمقراطية التي سيجزم فيها ابنه عندما يصبح بعمر الحكم مختلفة عن الملكية التي ورثها هو عن والده.

### بين النظرية والتطبيق

ظاهرياً، تبدو المملكة أكثر توجهًا نحو الديمقراطية، أكثر ميلاً للحريات والانفراج السياسي والعمل المدني الحر، ويبدو نمط الدولة مختلفًا بعدما استفاد الأردن من تجارب الدول المحيطة به حينما عاينت سلطاتها إرادة شعوبها، واستطاع أن يتخطى «الربيع العربي» عبر الإصلاحات التي جرى العمل عليها مؤخراً. لكن بين ثنابا الواقع وفي قراءة الإجراءات الرسمية، يتجلى السعي المنهجي نحو فرض فترة جديدة من الأحكام العرفية التي خرج منها الأردن قبل 26 عاماً، والتي امتلأت فيها السجون بالمعتقلين السياسيين وقتلت الحريات، لكن بطريقة أكثر نومة وهدوءاً. الإعلام يخاف من الكتابة والانتقاد بسبب التشريعات والقوانين المسطلة على رقبته، الأحزاب لا تكاد تتجاوز وصف «العلم السياسي» الذي لا يؤثر في مجريات الأحداث، والحركات الشعبية في الشارع خفتت منذ سنوات، والاعتقالات السياسية مستمرة إلى اليوم، والدولة تسعى إلى العمية على مؤسسات المجتمع المدني إما عبر مؤسسات تابعة لشخصيات ملكية أو عبر الرقابة على التمويل. لا يعلم الأردنيون ما الذي قد يحدث مستقبلاً، فالنشر للقوانين المقررة ليس ملموسا حتى الآن، والوضع الإقليمي بعيد كل البعد عن الاستقرار مما يجعل الجميع، معارضة وموالاة، حكومة وشعباً وقيادة، مشدودي الأعصاب في العمل الداخلي الذي قد تتغير معلياته وفقاً للظرف الخارجي الذي يلقي بظلاله دوماً على الحالة الداخلية.

### أحمد أبو حمد

صحافي من الأردن

كبير من مقاعد المجلس. كما تعيد القائمة النسبية المفتوحة قانون الصوت الواحد من الشباك بعد أن تم إخراجها من الباب، فالقوائم سيتم تشكيلها على أساس عشائري مصالحي لا أساس فكري ومواقفي، خاصة وأنه يمنع تشكيل القوائم على أساس حزبي حسب المجلس الأعلى لتفسير الدستور، فكيف ترغب الدولة الأردنية أن تطور منظومة العمل البرلماني للوصول إلى حكومات برلمانية وفقاً لتبارات الحسين بن عبد الله ذي الواحد وعشرين ربيعاً، والذي تشكل قوائم حزبية للمشاركة بالانتخابات البرلمانية؟

### ماذا عن ولي العهد

الإجراءات الحكومية التي تسير على قدم وساق وبشكل متسارع، يرافقتها في مؤسسة القصر أمور أخرى، متعلقة برسم صورة جديدة ودور جديد لولي العهد الأمير الحسين بن عبد الله في مجلس الأمن، وللأمير رايته تولى منصبه عام 2009.

الظهور الإعلامي المكثف للأمير محافل محلية وعالمية أمر غير مسبوق، فهو يري احتفالات عسكرية ورسمية، كما يلقي خطابات باسم الأردن في مجلس الأمن، وللأمير رايته الخاصة التي تم الإعلان عنها مؤخراً، كما جرى إقرار قانون لمؤسسة خاصة تسمى «مؤسسة ولي العهد»، ويرعى عدداً من المبادرات المتنوعة ويفتح المشاريع الكبرى ويلتقي شخصيات عالمية كبرى.

كما أن تعديلات دستورية جرت مؤخراً جعلت تعيين قادة الجيش ودائرة الخابرات وإقالتهم وقبول استقالتهم بيد الملك بدلاً من أن تكون بيد الحكومة، الأمر الذي يعني احتفاظ القصر بأهم مؤسستين تضمنان استقرارهما كما كانت الجهة المتحكمة بالجهاز التنفيذي.

الترايط بين ما يحدث في القصر وما تقوم فيه الحكومة مرده تصريحات الملك عبد الله الثاني قبل عامين لمجلة امريكية (ذي اتلانتك) والتي ألح فيها إلى أن الملكية

صلاحيات السلطات المحلية التي بقيت رهينة للحكومة؟

### الرفيق يتفلسف الصعداء

..لكن ليس طويلاً

وأخيراً ظهر قانون الانتخاب الذي كان وزير الشؤون السياسية والبرلمانية خالد كاللدة يخفيه منذ شعور في خزنته الخاصة بمكتب وزارته. الوزير اليساري كان خائفاً ممن يعارضون الإطاحة بقانون الصوت الواحد والنظام الانتخابي المعمول بهما حالياً، لذلك بقي القانون سراً حتى لحظة إرساله لمجلس النواب للشروع بإقراره عبر المراحل التي ينص عليها الدستور. حالة من الارتياح بدت واضحة على الوزير بعد الإعلان عن القانون، خصوصاً وأنه عانى من هجمات شديدة بسبب تركه لواقع المعارضة وانضمامه لصفوف الحكومة، الأمر الذي كان يفسره دوماً برغبته بتأجيل طريقة التغيير من الداخل بعد السنوات الطويلة التي قضاها بمحاولات التغيير من الخارج. ارتياح الوزير

اليساري يأتي بسبب الدبج الذي انحال على القانون الذي يعتمد نظام القائمة النسبية المفتوحة في التصويت بدلاً من الصوت الواحد، والذي يدمج الدوائر الصغيرة معاً لتصبح كل محافظة عبارة عن دائرة انتخابية واحدة، باستثناء اربد والزرقاء والعاصمة كون الكثافة السكانية فيها تفرض أن يكون في كل محافظة منها أكثر من دائرة، لكن المناقشات الأولية للقانون مع الفئات المجتمعية المختلفة توحى بأن القانون لا يحظى بتوافق عام، في حين جرى اعتباره لا يرقى الى المستوى المنشود بعد مطالبات شعبية بقانون انتخاب حضاري منذ عام 2011.

القانون وفقاً للمشاركين بالحوارات الوطنية، يسعى لتفتيت قوة ماكينة جماعة الإخوان المسلمين الانتخابية التي تعتبر الجهة السياسية الأكثر تنظيمياً في الساحة الأردنية، والأكثر قدرة على حصد أصوات المقترعين والاستثمار بعدد

أي هبات أو تبرعات من خارج البلاد أو من أشخاص طبيعيين واعتباريين غير أردنيين.

ورفض مجلس النواب بتوافق حكومي أن يتم النص في تعريف الحزب على تشكيله بقصد المشاركة في الحياة السياسية وخوض جميع الانتخابات بهدف تداول تشكيل الحكومات أو المشاركة فيها. الأمر الذي يتناقض مع ما تحدثت عنه الحكومة بما يتعلق بتعزيز الحضور الحزبي تحت قبة البرلمان والوصول إلى حكومات برلمانية.

وعلى الرغم من نص القانون على أنه لا يجوز التعرض لأي مواطن أو مساءلته أو محاسبته أو المساس بحقوقه الدستورية أو القانونية بسبب انتمائه الحزبي تحت طائلة المساءلة القانونية، إلا أن الموروث التاريخي منذ زمن الأحكام العرفية التي كانت تصل فيها العقوبات تجاه الحزبيين إلى عشرات السنوات بسبب الانتماء الحزبي، يجعل الانضمام إلى الأحزاب السياسية أمراً غير معاد في الشارع الأردني.

أما قانون اللائكية فكان الخطاب الحكومي تجاهه يركز على أنه سيحفظ للمحافظات حقوقها في التنمية، وسيعمد إلى تفعيل الإدارة المحلية، وسيوفر الأجواء لوضع الخطط الاستراتيجية والتنفيذية وتفعيل مبدأ المشاركة الشعبية في عملية صنع القرار المحلي. لكن القانون منع المجالس المحلية من التمتع بالشخصية الاعتبارية والاستقلالية المالية والإدارية، الأمر الذي رفضه الملك عبد الله الثاني فلم يصادق على القانون وقام برده لمجلس الأمة كي يصار إلى تعديله بأسرع ما يمكن.

القانون الذي يؤسس لإقامة مجالس محلية منتخبة في كل محافظة، يقابله مجلس تنفيذي من مדרء الدوائر الحكومية، لا يمنح الحق بالرعاية للمجلس المنتخب على المجلس التنفيذي المعين. كما يمنح سلطات كبيرة للمحافظ الذي يرأس المجلس التنفيذي، مما يضفي طابعاً أمنياً على القانون ويضعف من صفته التنموية، وإذا كان حل تلك المجلس المنتخبة بيد وزير البلديات فكيف سيعزز ذلك من

**5.8** في المئة نسبة ارتفاع مستوى البطالة في المغرب هذا العام، ليبلغ عدد العاطلين من العمل مليوناً و206 آلاف، نسبة الحاصلين على شهادات عليا منهم 21 في المئة، ونسبة متخرجي الجامعات 26.3 في المئة، ونسبة متخرجي المعاهد المهنية 22.5 في المئة، ونسبة حاملي الشهادات المتوسطة 16.6 في المئة، بينما نسبة غير المتعلمين 4.3 في المئة.

تحت إشراف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وبالتعاون مع مؤسسات دولية متخصصة، تم إعداد التقرير السنوي عن البطالة في المغرب 2015، الذي يسلط الضوء على واقع البطالة في المغرب، ويكشف عن أسبابها، ويحدد حجمها، ويضع في الاعتبار دور المؤسسات التعليمية في تخفيف حدة البطالة، ويحدد دورها في إعداد الكوادر البشرية المؤهلة لسوق العمل.

الجزء الأكبر من قوام جهازها الوظيفي بكل مستوياته، ومرد ذلك هو ارتفاع نسب التعليم في بلد ترتفع فيه نسب الأمية عادة. وبشكل ما بدأ حضورهم ذلك ذا طابع احتكاري للوظيفة العامة قياساً بآبناء سائر المناطق التي ينخفض عددها بالمقارنة مع أعدادهم. وذلك، وإن كانت أسبابها طبيعية بسبب التعليم والتأهيل، إلا أنه يُغَيَّر استنفاراً عاماً. فحضور «صاحب تعز» كموطف أو مدرس أو مهندس أو طبيب في الأجهزة الحكومية في مناطق ريفية مختلفة، يخلق حساسية مما يبدو شبهة احتكار للوظائف. فيصير تفسير الأمر ليس بسبب كونهم الأكثر تعليماً بل إلى كونهم أذكىء و «حذقا»، والوصف هنا يغلب طابع «الهلولة»، ولا يحضر باعتباره تنويراً ومديحاً. وهم بالطبع لم يحضروا في المؤسسات والأجهزة العامة للدولة ضمن مستويات الصف الأول كثيراً، حيث قيَّدت المراقبة الأمنية ذلك، وخصوصاً في فترات كانت التقييم الأُمني معياراً للاتحاق بجهاز الدولة وللتقدم الوظيفي، ولكنهم استطاعوا أن «يعيننوا» على المواقع التنفيذية ومفاصل الجهاز الوظيفي. وقابلوا السلبية الشائعة تلك حيالهم بلحمة عصبية، يمكن اعتها ب «عصبية المتعلمين»، وقد شكلت ضمانة من نوع ما في إدارة توازنات حضورهم الملي، بالالتباس على المستوى العام، في ظل عصبيات أخرى قوية لحافظات ومناطق تكون عادة مدعومة بأسباب القوة المباشرة والعارية.. ولكنها قوة فجة وتفنتقد الحساسية وتغير الاحتقان والضجيج، بينما أدار «التعزوين» حضورهم العلم و «ماركهم» بصيغة تجعلهم ذوي قوة ناعمة، قادرة على أحداث فرق مستمر بأقل قدر من لفت الانتباه.

صورة ملتبسة جنوبياً

شكلت تعز «ريف عدن» الرئيسي منذ بداية القرن العشرين، إلى جوار «أرياف» أخرى بالطبع. وحضر التعزوين مبكراً أيضاً كصاحب حرف وعمال، ليصبحوا بذلك إحدى الفئات الرئيسية التي تمتلك مصالح متنوعة في المدينة الجنوبية الأكبر. هذا الانخراط جعلهم جزءاً من انتفاضتها، حيث انضم الكثير من أبناء تعز للعمل «الفدائي» ضد البريطانيين مثلاً، كان هذا الحضور الباكر في العمل الوطني قبل الاستقلال رافعة أساسية لأدوارهم السياسية اللاحقة، فكانوا جزءاً أساسياً من «الجبهة القومية»، وشكل عدد من رموزهم أبرز أوجه السياسة والصراعات في «الجنوب الماركسي». انعكست أدوار ومواقع هؤلاء الرموز على صورة أبناء تعز، «الجبالية» كما كان يطلق عليهم في عدن، حيث جرى تلقيهم بالنسبة للكثير من التمثيلات الجنوبية ضمنيًا ك «متنفعين» و«انتهازيين» يستغلون الحزب. وعززوا مواقعهم في النظام اعتماداً على إثارة النزاعات بين الأطراف الجنوبية/الجنوبية، كونها الوسيلة المثلى، بإعتبارهم طرفاً بدون «عزوة» قبلية تستدعي في النزاعات على السلطة! ليتمد هذا التصور الى الآن، ليحظوا بالنصيب الأوفر من خطاب الكراهية الذي أنتجت الأحداث في الجنوب ضد الشماليين، فهم «فرس» و «يهود اليمن»... الخ. لقد شكلت صورة أبناء تعز في الجنوب محل التباس شديد، تدخل فيه موقع بعض ممثلهم السياسى، والوظائف الأُمنية لبعضهم، مع الصراعات المدوية التي حدثت، لينسحب ذلك إلى تقدير متذبذب لهم ولأدوارهم، يتنقل في وصفهم من كونهم المتعلمين والمندبين الأقرب لهم، إلى وصفهم بمخبري النزاعات «للثمام»، والذين يتحملون مسؤولية كل ما حدث للجنوبيين! تعز التي تحضر الآن رديفاً للسياسة والثقافة والتمردي، هي حصيلة حضور آبائنا وأدوارهم في الحياة اليمنية. فإند حضور أي شخص وتفوقه الشخصي مردود لها كما هو له، ليشكل مجموع أدوار أبناء هذه المحافظة الموزعين في أرجاء الجغرافيا اليمنية، إضافة مستمرة دوماً لرأسالمها الرمزي.. كحاضنة لأعلام التقدم والحداثة والمواطنة، وحارسة الضمير الوطني لليمنيين.

### ماجد المذحجي

كاتب وباحث من اليمن، مدير مركز صنعاء للدراسات



وائل درويش - مصر

### تمدد كتلة سكانية كبيرة

انتشر أبناء تعز في كل مناطق اليمن نتيجة هجرة داخلية نشطة «لطلب الرزق»، ما جعل منهم الأكثر حضوراً على المستوى الوطني، وعرضهم ذلك لأعباء انطاعات مختلفة في كل منطقة ومحافظه كانوا فيها، فيتم تصفيهم، إيجاباً أو سلباً، تبعاً لمستوى تقاطعهم مع منظومة القيم الاجتماعية والثقافية التي تحدد قدر الأفراد حيث يكونون. تخفف أبناء تعز من فكرة «الغيب» الحاضرة بكثافة في مجتمع تسيطر عليه قيم محافظة، وقيم تفرق «الرجولة» و «القوة» بحمل السلاح عادة، وترى «الفلح» مجرد «رعوي» قياساً بالتفضيل الذي يسبغ على «القبيلي» الذي يصبح حتى البيع والشراء انتقاصاً من قدره، وهو شأن استمر حتى فترات قريبة في اليمن، قبل أن تقوم أرباح التجارة وفكرة التراء بتغييرات مهمة في العادات ومنظومات القيم القبلية، أدى ذلك إلى انطباع أفكار سلبية عن التعزيين، ولكن اهتمامهم بها كان منخفصاً على الأغلب لمصلحة أولوية الحاجة والتعامل مع ضرورات «الرزق»، عوضاً عن العودة إلى مناطقهم حيث يطفي فقر شائع، ولا فرص عمل في أراض زراعية محدودة قياساً بعدد السكان الكبير، وأشكال «شراكة» مجحقة عادة بين «الرعوي» واللاك في مناطق تعز المختلفة.

كما التحق أبناء تعز بكثافة في مؤسسات الدولة المختلفة، وشكلوا

نواة «الجمهورية» التي تم تشكيلها بعد ثورة 26 نوفمبر 1962م، وكان لها دور هام في تشكيل الدولة الحديثة، حيث لعبوا دوراً مهماً في تطوير البنية التحتية للدولة، وفتحوا آفاقاً جديدة للتعليم، والصحة، والعلوم، والفنون، وغيرها من المجالات.

تحت إشراف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وبالتعاون مع مؤسسات دولية متخصصة، تم إعداد التقرير السنوي عن البطالة في المغرب، الذي يسلط الضوء على واقع البطالة في المغرب، ويكشف عن أسبابها، ويحدد حجمها، ويضع في الاعتبار دور المؤسسات التعليمية في تخفيف حدة البطالة، ويحدد دورها في إعداد الكوادر البشرية المؤهلة لسوق العمل.

الجزء الأكبر من قوام جهازها الوظيفي بكل مستوياته، ومرد ذلك هو ارتفاع نسب التعليم في بلد ترتفع فيه نسب الأمية عادة. وبشكل ما بدأ حضورهم ذلك ذا طابع احتكاري للوظيفة العامة قياساً بآبناء سائر المناطق التي ينخفض عددها بالمقارنة مع أعدادهم. وذلك، وإن كانت أسبابها طبيعية بسبب التعليم والتأهيل، إلا أنه يُغَيَّر استنفاراً عاماً. فحضور «صاحب تعز» كموطف أو مدرس أو مهندس أو طبيب في الأجهزة الحكومية في مناطق ريفية مختلفة، يخلق حساسية مما يبدو شبهة احتكار للوظائف. فيصير تفسير الأمر ليس بسبب كونهم الأكثر تعليماً بل إلى كونهم أذكىء و «حذقا»، والوصف هنا يغلب طابع «الهلولة»، ولا يحضر باعتباره تنويراً ومديحاً. وهم بالطبع لم يحضروا في المؤسسات والأجهزة العامة للدولة ضمن مستويات الصف الأول كثيراً، حيث قيَّدت المراقبة الأمنية ذلك، وخصوصاً في فترات كانت التقييم الأُمني معياراً للاتحاق بجهاز الدولة وللتقدم الوظيفي، ولكنهم استطاعوا أن «يعيننوا» على المواقع التنفيذية ومفاصل الجهاز الوظيفي. وقابلوا السلبية الشائعة تلك حيالهم بلحمة عصبية، يمكن اعتها ب «عصبية المتعلمين»، وقد شكلت ضمانة من نوع ما في إدارة توازنات حضورهم الملي، بالالتباس على المستوى العام، في ظل عصبيات أخرى قوية لحافظات ومناطق تكون عادة مدعومة بأسباب القوة المباشرة والعارية.. ولكنها قوة فجة وتفنتقد الحساسية وتغير الاحتقان والضجيج، بينما أدار «التعزوين» حضورهم العلم و «ماركهم» بصيغة تجعلهم ذوي قوة ناعمة، قادرة على أحداث فرق مستمر بأقل قدر من لفت الانتباه.

أدخلت ثورة 1962 وأعباء أدوار جديدة وأكسبتهم تقديراً جديداً لما يمكن أن يكونوا عليه، وللزمایا التي يمكن اكتسابها، فشارك أبناء تعز في صياغة ملامح النظام الجديد في اليمن، ولكن بأساليب مختلفة. فقد انتمى الكثير منهم إلى التصورات الجديدة في السياسة السائدة في العالم آنذاك، أو «السرديات» الإيديولوجية الشائعة في تلك الفترة: القومية بشقيها، أي البعث وحركة القوميين العرب، والماركسية، وأيضاً وإن محدوداً، الإيديولوجية الإسلامية في تعبيرها الإخواني. هذه الانتماءات التي ميزتهم بسبب انصالحهم بالعالم الخارجي أكثر من غيرهم، علاوة على ارتفاع نسب التعليم قياساً بأبناء المناطق الأخرى، وانخراطهم في عدن بأنشطة تجارية وحرفية وثقافية.. أدت إلى إدخالهم بتغييرات جديدة في حقل السياسة المحافظة بشدة في اليمن، الذي وإن أسقط الإمام - رأس الدولة الزيدية - لم يكن ليقبل باختلالات في التمثيل في السلطة تستبعد القوى التقليدية النافذة، والتمثيل الطائفي والمناطقى الحاضر ضمناً في صيغة الحكم بعد الثورة.

وهذه، لم تجرؤ أحد على تغييرها فعلياً والاقتراب من توازنتها الخطرة. التحق الكثير من أبناء تعز في مؤسسات الدولة الناشئة، فكانت حاضناً جديداً يكفل تعريفهم لأنفسهم خارج التعريفات الشائعة التي تنتمي للمنطقة أو القبيلة، ولنقل الجهة التي ينتمي لها الفرد، حضروا بكثافة في الجيش، مؤسسة القوة الجديدة التي كانت تتشكل في تلك الفترة وتكتسب أهمية متزايدة، بدأ الجيش يشكل أداة نفوذ مؤيدة بقوة فعلية متزايدة على الأرض، ما مكَّنه من المساهمة في تغيير الإحداثيات برمتها وشكل انتماء «التعزيين» بأيديولوجياتهم الجديدة اختياراً قوة يمكن أن يفكك من سيطرة النافذين التقليديين. وقد بدأت مؤشرات علامات الخطر من علاقتهم بممثلهم التقليديين في مؤسسة الحكم، حيث يحضر تمثيل عائلات إقطاعية كبيرة من المناطق الشافعية أو مناطق «منزل»، بمقابل الآخرين من «الزيدون»، أو أصحاب «مطلع» من القبائل. فرفض ذلك وتظاهر ضده الكثير من الطلاب والانتماء السياسيين، وكان «خطر التعز» يشكلون الكتلة الأكبر منهم، وهو ما حصل مع الأستاذ احمد النعمان مثلاً (رئيس الوزراء لمرتين، في عهد عبد الله السلال 1965، ثم في عهد القاضي عبد الرحمن الأرياني 1971، وهو عُرف ب «الأستاذ» باعتباره من رواد التثوير ومن اعلام التحرر العربي)، وكان النعمان المثل الضمني أن الشوايف، فاعتبره هؤلاء المتزودون «رجعياً» حينها! لقد شكل ذلك أول رفض علني، مدو، لمسبغ التمثيل المقررة في اليمن، وكان في ذلك نقضاً خطراً لتصور آمن ومتراض عليه يحكم البلد حينها.

تمدد هذه التعريفات الجديدة للجيش، مؤسسة القوة الحديثة الأهم، يمكن أن يحدث فرقا خطراً. بسبب ذلك، اندلعت أحداث أبا/ أغسطس 1968 التي تعاملت مع هذه المخاطر المتعاطمة، حيث اتخذ قرار بتصفية الإيديولوجيات الجديدة في الحياة العامة، وبالأخص في مؤسسة الجيش، باستثناء البعث التحالف مع الصيغة المحافظة حينها، وكانت تلك الإيديولوجيات مقترنة بأبناء تعز ضمناً، فشملت التصفية الاثنين بدون

الجمهورية» التي تم تشكيلها بعد ثورة 26 نوفمبر 1962م، وكان لها دور هام في تشكيل الدولة الحديثة، حيث لعبوا دوراً مهماً في تطوير البنية التحتية للدولة، وفتحوا آفاقاً جديدة للتعليم، والصحة، والعلوم، والفنون، وغيرها من المجالات.

تحت إشراف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وبالتعاون مع مؤسسات دولية متخصصة، تم إعداد التقرير السنوي عن البطالة في المغرب، الذي يسلط الضوء على واقع البطالة في المغرب، ويكشف عن أسبابها، ويحدد حجمها، ويضع في الاعتبار دور المؤسسات التعليمية في تخفيف حدة البطالة، ويحدد دورها في إعداد الكوادر البشرية المؤهلة لسوق العمل.

الجزء الأكبر من قوام جهازها الوظيفي بكل مستوياته، ومرد ذلك هو ارتفاع نسب التعليم في بلد ترتفع فيه نسب الأمية عادة. وبشكل ما بدأ حضورهم ذلك ذا طابع احتكاري للوظيفة العامة قياساً بآبناء سائر المناطق التي ينخفض عددها بالمقارنة مع أعدادهم. وذلك، وإن كانت أسبابها طبيعية بسبب التعليم والتأهيل، إلا أنه يُغَيَّر استنفاراً عاماً. فحضور «صاحب تعز» كموطف أو مدرس أو مهندس أو طبيب في الأجهزة الحكومية في مناطق ريفية مختلفة، يخلق حساسية مما يبدو شبهة احتكار للوظائف. فيصير تفسير الأمر ليس بسبب كونهم الأكثر تعليماً بل إلى كونهم أذكىء و «حذقا»، والوصف هنا يغلب طابع «الهلولة»، ولا يحضر باعتباره تنويراً ومديحاً. وهم بالطبع لم يحضروا في المؤسسات والأجهزة العامة للدولة ضمن مستويات الصف الأول كثيراً، حيث قيَّدت المراقبة الأمنية ذلك، وخصوصاً في فترات كانت التقييم الأُمني معياراً للاتحاق بجهاز الدولة وللتقدم الوظيفي، ولكنهم استطاعوا أن «يعيننوا» على المواقع التنفيذية ومفاصل الجهاز الوظيفي. وقابلوا السلبية الشائعة تلك حيالهم بلحمة عصبية، يمكن اعتها ب «عصبية المتعلمين»، وقد شكلت ضمانة من نوع ما في إدارة توازنات حضورهم الملي، بالالتباس على المستوى العام، في ظل عصبيات أخرى قوية لحافظات ومناطق تكون عادة مدعومة بأسباب القوة المباشرة والعارية.. ولكنها قوة فجة وتفنتقد الحساسية وتغير الاحتقان والضجيج، بينما أدار «التعزوين» حضورهم العلم و «ماركهم» بصيغة تجعلهم ذوي قوة ناعمة، قادرة على أحداث فرق مستمر بأقل قدر من لفت الانتباه.

أدخلت ثورة 1962 وأعباء أدوار جديدة وأكسبتهم تقديراً جديداً لما يمكن أن يكونوا عليه، وللزمایا التي يمكن اكتسابها، فشارك أبناء تعز في صياغة ملامح النظام الجديد في اليمن، ولكن بأساليب مختلفة. فقد انتمى الكثير منهم إلى التصورات الجديدة في السياسة السائدة في العالم آنذاك، أو «السرديات» الإيديولوجية الشائعة في تلك الفترة: القومية بشقيها، أي البعث وحركة القوميين العرب، والماركسية، وأيضاً وإن محدوداً، الإيديولوجية الإسلامية في تعبيرها الإخواني. هذه الانتماءات التي ميزتهم بسبب انصالحهم بالعالم الخارجي أكثر من غيرهم، علاوة على ارتفاع نسب التعليم قياساً بأبناء المناطق الأخرى، وانخراطهم في عدن بأنشطة تجارية وحرفية وثقافية.. أدت إلى إدخالهم بتغييرات جديدة في حقل السياسة المحافظة بشدة في اليمن، الذي وإن أسقط الإمام - رأس الدولة الزيدية - لم يكن ليقبل باختلالات في التمثيل في السلطة تستبعد القوى التقليدية النافذة، والتمثيل الطائفي والمناطقى الحاضر ضمناً في صيغة الحكم بعد الثورة.

وهذه، لم تجرؤ أحد على تغييرها فعلياً والاقتراب من توازنتها الخطرة. التحق الكثير من أبناء تعز في مؤسسات الدولة الناشئة، فكانت حاضناً جديداً يكفل تعريفهم لأنفسهم خارج التعريفات الشائعة التي تنتمي للمنطقة أو القبيلة، ولنقل الجهة التي ينتمي لها الفرد، حضروا بكثافة في الجيش، مؤسسة القوة الجديدة التي كانت تتشكل في تلك الفترة وتكتسب أهمية متزايدة، بدأ الجيش يشكل أداة نفوذ مؤيدة بقوة فعلية متزايدة على الأرض، ما مكَّنه من المساهمة في تغيير الإحداثيات برمتها وشكل انتماء «التعزيين» بأيديولوجياتهم الجديدة اختياراً قوة يمكن أن يفكك من سيطرة النافذين التقليديين. وقد بدأت مؤشرات علامات الخطر من علاقتهم بممثلهم التقليديين في مؤسسة الحكم، حيث يحضر تمثيل عائلات إقطاعية كبيرة من المناطق الشافعية أو مناطق «منزل»، بمقابل الآخرين من «الزيدون»، أو أصحاب «مطلع» من القبائل. فرفض ذلك وتظاهر ضده الكثير من الطلاب والانتماء السياسيين، وكان «خطر التعز» يشكلون الكتلة الأكبر منهم، وهو ما حصل مع الأستاذ احمد النعمان مثلاً (رئيس الوزراء لمرتين، في عهد عبد الله السلال 1965، ثم في عهد القاضي عبد الرحمن الأرياني 1971، وهو عُرف ب «الأستاذ» باعتباره من رواد التثوير ومن اعلام التحرر العربي)، وكان النعمان المثل الضمني أن الشوايف، فاعتبره هؤلاء المتزودون «رجعياً» حينها! لقد شكل ذلك أول رفض علني، مدو، لمسبغ التمثيل المقررة في اليمن، وكان في ذلك نقضاً خطراً لتصور آمن ومتراض عليه يحكم البلد حينها.

تمدد هذه التعريفات الجديدة للجيش، مؤسسة القوة الحديثة الأهم، يمكن أن يحدث فرقا خطراً. بسبب ذلك، اندلعت أحداث أبا/ أغسطس 1968 التي تعاملت مع هذه المخاطر المتعاطمة، حيث اتخذ قرار بتصفية الإيديولوجيات الجديدة في الحياة العامة، وبالأخص في مؤسسة الجيش، باستثناء البعث التحالف مع الصيغة المحافظة حينها، وكانت تلك الإيديولوجيات مقترنة بأبناء تعز ضمناً، فشملت التصفية الاثنين بدون

# فصل في الجحيم

هو لاجئ من إحدى دول القرن الأفريقي، عانى تجربة اللجوء إلى اليمن، ثم من اليمن إلى الصومال. تحدثنا سوية في مواضيع شتى، منها بحثه عن وسيلة ليجد مصدر دخل، ويقترب مشاريع وطرقا لتوفير أمور وجد أنها تنقص المجتمع هنا، استمتمت إليه باهتمام وتقدير بالغ، وحين وجدني مهتماً لأمره بصورة جعلته يطمئن، شكال لي أن اللاجئين من اليمن أيا كانت أصولهم يعانون الإهمال الشديد. تختلف جنسيات هؤلاء ما بين اليمني والصومالي والتيجيري والفلسطيني والسوري وغيره.. أناس عبروا البحر للنجاة بحياتهم بحثًا عن الأمان، مع التركيز على اليمنيين الذين عاَدروا بلادهم للمرة الأولى كتجربة لجوء، تاركين وراءهم بيوتهم وأملَكم ومصادر رزقهم، أو ما بقي منها، إلى المهجول الذين ظنوا أنه سيكون أرفق بهم من وقع القبائل وأزيز الرصاص الطاشش.

هناك عائلات يمنية لجأت إلى الصومال، تعاني الإهمال الشديد بسبب الأميالة والتسويق في تقديم الدعم، نتيجة لعوامل منها الفساد الإداري لدى الجهات المعنية برعايتهم وخدمتهم، والاختلاسات (التي أشار اللاجئين إليها) من قبل منظمات نقابية وأخرى غير حكومية تدعى أنها تقدم العون لهم، رغم أن كل ما يحصلون عليه هو المقابلات التي ترهقهم بالأسئلة، والاتصالات التي تدعوهم لمراجعة الجهات تلك، متحقلين من طرف المدينة إلى الطرف الآخر، من دون أن يعودوا بشيء سوى التبريرات

تلو التبريرات للتقصير الحاصل في منحهم ما يحتاجون

إليه. أساسيات الحياة والحفاظ على كرامتهم هو كل ما يحتاجونه، بضع مئات من الدولارات يسدّد نفقات الحياة المرتفعة هنا: أجرة منزل وفواتير الماء والكهرباء، رسوم دراسة مدرسية للأطفال، ما يكفي لدفع أجرة الباص الذي ينقل الأطفال إلى المدارس، منحة جامعية.. أشياء ينتفي وجود من يوفرها لدرجة نندّر أب يعيش هو وزوجته وأبناؤه الستة في بيت نظيف، خال تماما من أي أثاث سوى جهاز تلفاز يندم على إضراره معه من اليمن.

يقول: ننتقل للبيت، نقوم بتنظيفه، وخلال يومين نضطر لإخلائه لأننا لا نملك بدل الإيجار الشهري.

تُزور مقر الجالية اليمنية في «هرجيسا». الاستقبال جيد والحديث الجالني مع أحد القائمين عليها يتشعب، يقول كلاماً غريباً عن عدم الرغبة في أن يبلغ الأمر حدّ بناء مخيم للاجئين اليمنيين. أتفق معه على أن تجميع اللاجئين في مخيم سيحطّ من كرامتهم في المجتمع الذي يقيمون فيه، لكنني أتساءل: من الذي له الحق في أن يرغب أو لا يرغب؟ هل هذه الجمعية الأهلية للسجلة كمظلمة غير حكومية، أم الناس أنفسهم؟ يأتي التبرير أن اليمنيين الذين حضروا إلى البلد، ليسوا جميعاً يمنيين. ومن الذي يحدد ذلك؟ اليسوا حاملين لوثائق يمنية صادرة من جهات حكومية في بلادهم؟ الجواب: هناك نسبة كبيرة لها أقرباء هنا في البلد. وأستفسر: هل حضروا إلى هنا عبرين البحر للسباحة؟ ألم يدفعهم

الخوف وتدهور الأحوال لتترك كل شيء، مألوف لديهم ليحصلوا على الأمان هنا؟ يغادر هذا المسؤول بعدما ضجر، ومنتقل للشخص المقصود من قدومنا إلى مقر الجالية. الرجل مشغول في توزيع مبالغ مالية. ندخل في حديث عام، لكن نجد الثيرة نفسها: «ليس كل اليمنيين يمنيين!» وينتقل التبرير للوم الحكومة هنا على أنها تسجل الجميع على أنهم يمنيون «من دون تمييز». أستفسر: هل هناك أشخاص تم تسجيلهم على أنهم يمنيون وهم ليسوا كذلك؟ الرد: هناك من تم تسجيلهم على أنهم يمنيون لأن ذلك مذکور في شهادة مدرسية ابتدائية! ما مصدر الشهادة، وعلى أي أساس تم كتابة الجنسية عليها؟ ينزلق الحديث سريعاً وبعيداً، نحو المبالغ العزيلة المستلمة من تجار محليين، وتوزيعها بنجاح على من أمكن توزيعها عليهم من أصل ما يقرب من 2000 لاجئ مسجلين لدى الجالية، نسبة لا بأس بها منهم غادرت البلد بعدما فقدت الأمل في المساعدة!

ننقل الصورة إلى الكثيرين عبر وسائل التواصل الاجتماعي. تصلني وعود كبيرة بتأيين المساعدة، لم يصل شيء بالفعل سوى 200 دولار استلمتها لاجئ من البلد الجار الذي أدخلني في بحر معاناة اللاجئين من دون أن أجد قشة أتمسك بها. أسلمه البليغ وأتصل بالرجل الكريم الذي تبرع بالبليغ. أتركمها يتحذنان بعدما عدّ اللاجئ البليغ ووضعه مع الوصل في جيبه. هناك سيدة فقدت زوجها في الحرب، كنت أمل أن أجد من يتكفل

## الحرب ضد الشماتة

كنا نرغب في السباحة. رأينا المستنقع فتوقفتنا عنده. شعر أضخمنا حجماً بالرغبة في أن يكون زعيماً، فنظر إلى المستنقع وسأل، لماذا لا نسبح فيه؟ نحن نريد السباحة والمستنقع جميل في هذا الوقت، فلماذا لا؟ قال له شخص بنظارة أن هناك أيضا البحيرة، وهي لا تبعد كثيراً، وربما يستحسن أن نسبح فيها، فلا فائدة تُرجى من السباحة في المستنقع.

شعر أضخمنا حجماً بالإهانة من التعليق فقال، لا. سنسبح في المستنقع. وستسبح معنا، وستكون أولنا. أصلا من قال إن البحيرة أجمل من المستنقع؟ توقف عن ترديد كل هذا الكلام المحفوظ كان أضخمنا حجماً ضحكاً حقاً، ولذلك قلنا إنه يستحيل أن يقول رأياً خاطئاً.

وتهديداً له، أخرج أضخمنا حجماً مسدساً وأطلق النار على الشخص الذي بنظارة، فبدأ الأخير يسبح في الوحل بذراع يسيل منها الدم، وضحكنا نحن على منظره كثيراً، وهنأنا لأضخمنا حجماً فرحين بسداد رؤيته. ثم بدأنا نسبح نحن أيضاً في المستنقع فرحين. وبينما نحن في قلبه رأينا أن بعضاً منا لم ينزلوا وإنما يتأهبون للذهاب للبحيرة، فأخرجنا جميعاً مسدساتنا وفتحنا النار عليهم بمنتهى السعادة والمرح، ومات منهم الكثيرون، واختبأ البعض الآخر بين الأشجار.



ولكن الوحل في المستنقع كان ثقيلًا وكنا نفوض فيه، وكنا نحاول التقدم خطوة فتفترس أقدامنا عشر خطوات. ومن بعيد بدأت التماسيح تجاهمنا، وبدأت تأكل ناسًا منا، وبدأ صوت ضغفها يمتزج بصوت الريح. وتسلل إلينا الخوف أننا سنموت جميعاً الآن ولن ييرانا أحد في الظلام.

وهنا مال علي واحد منا وأشار نحو الأشجار على الشاطئ، وسألني، هل تعرف أين هم هؤلاء الذين لم يأتوا معنا؟ قلت له، لا. فضيق عينيه وقال، أنا أعرف. أكيد يجلسون بين الأشجار ويضحكون علينا. وفور أن أنهى جملته ظهر تمساح ضخم واتهم رأسه في غُضفة عين.

علا دمي بالغضب ضد هؤلاء الذين يجلسون بين الأشجار ويضحكون علينا، وأخرجت مسدسي ومضيت أضرب النار بتجاههم بجنون. وعندما أتى التمساح وأكل ذراعي في قُضمة واحدة، الفتفت نحو هؤلاء الذين بين الأشجار وصرخت فيهم أننا سننتقم منهم يوماً ما. وكانت هذه آخر جملة أنطقها في حياتي.

نص نائل الطوخي ورسم مخلوف

## مرشحو البرلمان في مصر

## رداءات مختلفة للون واحد

شهدت مصر خلال الشهر المنقضي الانتخابات البرلمانية التي تمثل الاستحقاق الانتخابي الثالث للسلطة الحالية، تالياً لاستحقاق التعديلات الدستورية والانتخابات الرئاسية، فواصل زمني يجاوز العام عن الاستحقاق الأخير. أجل هذا الإجراء مرة عما أعلن أولاً في خارطة الطريق (تموز/ يوليو 2013) التي ورد فيها أنه سيكون تالياً للتعديلات الدستورية بفواصل ستة أشهر، ثم مراراً على يد الرئيس السيسي الذي مثل طوال فترة غياب البرلمان رأساً للسلطتين التشريعية والتنفيذية، فأصدر ما يجاوز اللائحة قانون بقرارات جمهورية، وهي المزمع مراجعتها وفق الدستور - كأولى مهام المجلس الجديد خلال الخمسة عشر يوماً الأولى من الانتقاد.

## قوانين الانتخابات

كان إجراء تعديلات وإصدار قوانين جديدة لتنظيم الانتخابات أحد أسباب التأجيل، وقد شملت التعديلات توسيع صلاحية الرئيس بتعيين ما نسبته 5 في المئة من أعضاء البرلمان (28 عضواً)، كذلك تم تغليب نسبة مرشحي الفردى على القوائم، بإتاحة 448 مقعداً للفردى (80 في المئة) مقابل 120 للقوائم (20 في المئة)، وقد قال «المعهد الأثني للشؤون الأمنية والدولية»، في ورقته بعنوان: «الانتخابات البرلمانية في مصر: ضعف الأحزاب وضعف البرلمان» الصادرة في مطلع 2015 إن «ما سنته الحكومة من قوانين انتخابية جديدة سيقلل من فرص الأحزاب السياسية بشكل عام - والأحزاب السياسية المعارضة على وجه الخصوص - من الحصول على عدد مناسب من المقاعد في البرلمان، ما يمكن اعتباره تعميلاً لإعاقه الأحزاب السياسية من لعب دور هام في البرلمان. بدلاً من ذلك، كان ينبغي إبقاء الأولوية لإدراج جميع القوى السياسية في العملية الانتخابية وتعزيز دور الأحزاب السياسية».

## المرشحو

لذلك اتخذت بعض الأحزاب مثل «حزب الدستور» و «مصر القوية» و «الوسط» وبعض التكتلات السياسية مثل «صحوة مصر» و «حركة 6 أبريل» وغيرهما قراراً بعدم المشاركة. إذ بدأ واضحاً أن تخصيص النسبة الأكبر من المقاعد لمصلحة مرشحي الفردى قد حسم الانتخابات مبكراً للأغنياء ورجال الأعمال وذوي القدرة المالية ممن يستطيعون الإغراق على حملاتهم الدعائية لكسب أصوات الناخبين. ومع ذلك خاض الانتخابات بعض المستقلين ممن يؤمنون على ضرورة السعي والتمسك بالأيدي في الإصلاح والإيمان بإمكانيته. ويعتمد هؤلاء على سمعتهم الشخصية في دوائرهم الاجتماعية المحيطة، حتى أن بعضهم لا يملك سوى بعض الاقنات الدعائية البسيطة وأوارق الأبيض

الأسود التي تحمل لهم صوراً مشوشة ورؤى ووعوداً مختصرة، فيما ضمت القوائم خليطاً متجانساً من الرموز والأحزاب السياسية المتضامنة على موالاة ودعم ومساندة الرئيس من خلال البرلمان. هكذا تعلن القائمة الأهم، «في حب مصر»، أنها تدعم الرئيس بلا رجعة! من جهة أخرى، بدت صور مرشحي حزب النور السلفي التنازح الوحيد في المشهد المتجانس، خاصة مع اختفاء الإخوان المسلمين عن المشهد السياسي، وعمق التنازح ما أوجبه القاتون من ضرورة تضمين القوائم عدداً محدداً من المسيحيين وآخر من النساء، ما جعل الحزب ذا المرجعية الإسلامية المتشددة يبدو متخاصماً مع نفسه. وهو على كل حال مني بهزيمة كبيرة في هذه الانتخابات، على الرغم من اشتغاله في الفترة الماضية ك «الحجة الإسلامية» المؤيدة للسلطة بالضد من الإخوان.

## الدعاية الانتخابية

استخدم رجال الأعمال قنواهم المرئية والقروءة للضغط على الناخبين وتوجيههم لضرورة المشاركة في اختيار نواب البرلمان، فيما اكتسى الشارع المصري بعدد غير محدود من الاقنات التي تحمل وجوه المرشحين الياسمة ورموزهم وأرقامهم المتباينة، ووجد بعض المرشحين دعاباتهم بالسيارات التي تجوب الشوارع وهي تصدح بأغنيات في حب مصر («خذت ايه مصر بسكوتك.. متستخسرش فيها صوتك»)، مع إعلاء صورة المرشح. هكذا غالباً لم يتوفر للناخب سوى الحث الضاغظ عليه بضرورة المشاركة والاختيار، بينما هو ربما لا يعرف عن كل مرشح سوى صورته الباسية، وإن أسعف الناخب حظه فقد يقع على وراقات الدعاية التي تتضمن برنامج بعض المرشحين ووعودهم، وإن كان أوفر حظاً فقد يتألم بعضاً من الهدايا العينية أو السلع الاستهلاكية التي يصرفها بعض المرشحين لشراء أصوات أكثر. ورغم ثبوت انتشار السبل غير الشرعية للدعاية الانتخابية وشراء الأصوات بالمال، إلا أن الفتوى «بأن مقاطع الانتخابات آثم» كانت من أشد صور الدعاية الانتخابية فحشاً، إضافة لما رافقها من ترهات حول تفريغ مقاطعي الانتخابات 500 جنيه مصري! وعلى الرغم من ذلك، كان الإقبال ضعيفاً للغاية، فبالحصول الإجمالية، لم يدل بأصواتهم سوى 21.7 بالمئة ممن يحق لهم التصويت في نهاية المرحلة الأولى (أكثر قليلاً من 27 مليون ناخب في الأربع عشرة محافظة المعنية بهذه المرحلة).

## الناخبون

على عكس التجانس شبه التام الذي وصم مرشحي البرلمان، تباين الناخبون حول رؤية البرلمان وتقييم دوره وموقفهم من التصويت فيه، وانطلقت التسجيلات التي

## المشاركة

انخفضت نسب المشاركة حسب ما رصدته وتناقشته وسائل الإعلام لأقل من 2 في المئة في اليوم الأول من المرحلة الأولى. قوبل انخفاض نسبة المشاركة برسائل عتاب وتحذير حادة، خاصة للشباب الذي - وفق الأثمين - لا يعي الصلحة ولا يُلحظها، لذلك ارتفعت نغمة أن عدم مشاركة الشباب تسحب منهم حق الاعتراض على أي شيء مستقبلاً (كان حق الاعتراض مكفول للمشارك)، من جهة أخرى رأى البعض أن ضعف المشاركة سيزعزع قوة البرلمان ويقدم في قدرته على التحدث باسم الشعب، مما سيصيب في مصلحة السلطة، بصفة عامة، كان خواء الجان دليلاً على استعادة حالة السبات العميق للسياسة التي انتعشت بنسبمات التغيير التي حملتها ثورة يناير 2011، الآن يبدو المشهد عائداً لما كان عليه، ربما سنفود لمتابعة بث جلسات مجلس الشعب التي تمتد لساعات، ثم تنتهي ب «طرفة» الموافقة الجماعية على إطلاءات السلطة.

كذلك تتوقع الورقة المشار إليها أعلاه: «من المرجح أن يكون البرلمان القادم ضعيفاً، خاصة بالنظر إلى حجم الانقسامات والخلافات الداخلية بين الأحزاب العلمانية، وتشردم وضعف الإسلاميين إضافة لضعف التيار المدني الديموقراطي، الأمر الذي من شأنه زيادة قوة السلطة التنفيذية، بما يتجاوز الإطار الذي يرسمه لها الدستور والقانون».

انتهت المرحلة الأولى من انتخابات البرلمان، وعلى الرغم من كل التكهات الرسمية لمساره كإدارة للسلطة لقرض سطوتها على الشعب، فما زال أمل عالق يردد «أن الشعب مصدر السلطات!»

## بسمه فؤاد

باحثة من مصر

469 اعتداءً على المصورين الصحافيين من قبل الإسرائيليين منذ عام 2012، بينها 283 اعتداء أدت إلى إصابات، و64 حالة منع من التغطية، و47 اعتقالاً. أما عدد الاعتداءات من جهات فلسطينية على المصورين للفترة نفسها فقد بلغ 124 اعتداءً بينها 34 أدت إلى إصابات و27 منع من التغطية و13 اعتقالاً.

## توفيق الألوسي/ العراق

## حلم..



arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»

- التغييرات على رأس الخبرات الجزائرية: من توفيق إلى طرطاق - موقع Algeria Watch

- خمسة عقود على ثورة 1962 باليمن - فارع المسلمي

- أدرعي سبيلنا؟ - ربيع مصطفى

- سؤال ديومغرافي ليبي - أحلام البدري

- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi

- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

## تماثيل عراقية غارقة



رسم: أحمد فلاح - العراق «خاص السفير العربي»



شهرزاد وشهرزاد



أبو نواس

## لا لتغيير ملامح الإسكندرية

أنا فاكدة كويس اليوم التي جالنا فيه ورثة فيلا شيكوريل والمقاولين بيدوروا علينا في الصندرة بخصوص الحراك التي كتا عاملينه ضد الهدم. وقتها حصل انتصار ضمني والقضية مكنتش نخيوية خالص، كان في حاجة خفية انحركت في مجموعات مشتركة في فكرة إتنا مش عاوزين نغير ملامح المدينة.. خصوصاً بعد أزمة هدم النادي اليوناني بالإبراهيمية واكتشفنا إنه من أكثر المقاولين قذارة وشغال هدم في الإبراهيمية وبناء مخالف بقاله أكثر من 10 سنين بالبلطجة والرشاوي. الأزمة دايماً بتكون في حاجتين في مناقشة كل ما يخص التراث السكندري:

1- عنونتها كقضية نخبة لا تمت للناس بصلة، مع أنها في صلب أزماتها في ما يخص الغلاء وتغيير معالم المدينة والنصب عليهم والفساد الإداري..  
2- هو الحل الواقعي للورثة، فدأماً ما يتحدث معنا الورثة في إنهم يبيعوا البيوت دي أو يفرطوا فيها بشكل فاسد أمام العروض المالية، وده يرجع لفساد إداري يخص الدولة سواء في إدارة آثارها أو حتى التعامل مع الشركات وما تستثمره مثلا في مباني مسجلة تحت قائمة التراث. اسكندرية هتبقا فيحمة ويؤرة فساد لو كل مرة ننازلنا في الخناقات دي. رؤساء الأحياء بلا رقيب حقيقي وقضية الهدم والبناء في اسكندرية أصبحت كتلة من الفساد.

من صفحة Isis F Khalil (فايسبوك)

## صناعة ثقافة المجتمع في السعودية

لدي إيماني العميق بأن ثقافة المجتمع تصنع ويتم تشكيلها تراكمياً، وأن للحكومة مثمنة بأجهزتها المختلفة الدور الرئيس في هذا التشكيل سلباً أو إيجاباً. في الجانب المحيط يكون بعدم الاهتمام بظواهر سلبية على اختلافها لتتغذى وتكبر، ولها مستفيدون، وفي الإيجابي بدعم المتوارف منه أساساً في ثقافة المجتمع، الدعم المناسب لتقويته وترسيخه.

ومن الأعداء القديمة الجديدة رمي المسؤولية على ثقافة المجتمع السلبية! هذه الرماية الحرة تأتي في العادة من مسؤول لم يحقق النجاح المطلوب في مهمته، أو يجهر «لعلاج» أعده يرى أن الغالبية العظمى لن تستسيغه ويضر بمصالح أساسية لها.

وإذا أخذنا الأراضي البيضاء، والسكن، نسترجع الماضي ونكتفي بالسكن، كانت الأسرة السعودية تسكن في منزل صغير، وأحياناً أكثر من أسرة في المنزل نفسه، جاء صندوق التنمية العقاري مداراً من وزارة المالية ليحدث طفرة إيجابية في الإسكان الشعبي ويحقق أحلام الكثير من المواطنين، لكن هذه الطفرة صاحبها نطم محدد اهتم بالشكليات و «التكسيات» الخارجية من الرخام إلى «الرفيد»، كان الصندوق حارساً لهذا النمط المتخشب، لم يفكر بالمستقبل على رغم وجود مجلس إدارة، وهو ما يدفع للسؤال ما هي مهمات مجالس الإدارة بالتحديد إذا لم تفكر للمستقبل؟ وكثير من القضايا تتضخم بسبب تضافر جهود الجيود والبطء في قيادة التنمية، بعد المساهمة في ترسخ مشكلة يأتي من يقول ثقافة المجتمع هي السبب!

من مدونة عبد العزيز بن أحمد السويد http://www.asuwayed.com/

## مدونات

## حول زيارة الحرم القدسي

في موضوع الحرم القدسي، يفرق نتنايهو، حسب وسائل الإعلام، بين الصلاة في الحرم وبين زيارته. فالصلاة للمسلمين، والزيارة لغير المسلمين. من حيث المبدأ لا توجد مشكلة في هذا التفريق. لكن السؤال هو: بيد من تكون مسألة الزيارة؟ بيد نتنايهو وأجهزة دولته، أم بيد الأوقاف والطرف الفلسطيني؟ إذا كان القرار بيد إسرائيل، وواقفا نحن على ذلك، فهذا في الواقع اتفاق أوصلو كارثي جديد بشأن الحرم القدسي، فالزيارة ستشعر (الاستيطان) داخل الحرم. أي ستشعر السيطرة الإسرائيلية النهائية عليه، ستكون الزيارة مسمار جحا الذي ستسيطر بواسطته إسرائيل ومستوطنوها على الحرم. من الذي يسمح للزوار بالدخول؟ ومن الذي يحدد موعد الزيارة؟ وهل يحق له أن يمنع الزيارة إذا كان هناك تهديد للحرم أم لا؟ هذه هي القضية. قرار الزيارة يجب أن يكون بيدنا، نحن من نسبح بالزيارة ومن نمنعها، نحن من نقرر إقفال الباب أمام الزيارة، وبوجه من تزيد، حين يكون الحرم مهدداً، وحين تكون سيادتنا عليه مهددة، السماح لإسرائيل بالسيطرة على قرار الزيارة، يعني السماح لها بالسيطرة على الحرم. قضية الزيارة هي ذاتها قضية السيادة، وقضية السيادة على الحرم هي قضية السيادة على القدس الشرقية.

من صفحة Zakaria Mohammed (فايسبوك)